

التقاعد.. بداية أم نهاية؟



«كثيراً ما ينظر الناس إلى التقاعد على أنّه البداية الحقيقة للشيخوخة واليذان بانضمام الشخص إلى طائفة المسنين ليمضي بها البقية الباقيّة من سنوات حياته، وينظر الكثير إلى التقاعد على أنّه نهاية غير سارة لرحلة طويلة حافلة، والواقع إنّ التقاعد أو الإحالة إلى المعاش بما تعنيه من توقف عن العمل بالنسبة لمن يقومون بأعمال ووظائف مختلفة عند بلوغهم سنًا معيناً» هو إحدى مشكلات الحضارة التي ظهرت في المجتمعات الصناعية، ولا مفر من تطبيق مبدأ التقاعد لكبار السن لتحقيق التوازن بين العمالة الشابة وتجنب البطالة في الأجيال الأصغر سنًا، وذلك رغم أنّه لا يأتي على هوى الكبار الذين يرغمون على ترك العمل.

وتعتبر مسألة التقاعد من العمل بشكلها الحالي إحدى المشكلات المعاصرة فلم يكن لهذه المشكلة وجود في المجتمعات القديمة حين كان على الإنسان أن يظل يعمل حتى يتغلب عليه المرض ويفقد قواه، ولعل الإنسان القديم كان أوفر حظاً في هذا الجانب فلم يكن يعاني من النتائج الثقيلة لهذا النظام الحديث، كما أنّ الذين يقومون بأعمال حرة لحساب أنفسهم مثل الأطباء والمحاميين والكتاب والسياسيين والفنانين لا يمرون بهذه التجربة ويمكنهم الاستمرار في العمل ما أمكن لهم ذلك دون التقييد بسن معينة.

وفترة التقاعد التي تبدأ بترك العمل لا يرحب بها الناس عادة ويعتبرونها فترة خسارة حيث تتبع فيها أنواع مختلفة من الخسائر يترتب بعضها على البعض الآخر، وفيها خسارة مادية بسبب نقص الدخل فالمعاش الذي يتلقاه المتقاعد لا يزيد عادة على نصف دخله أيام العمل، وهناك الخسارة الصحية التي تمثل في أمراض الشيخوخة التي تأخذ في الظهور تباعاً مع الوقت، ويترتب على ترك العمل أن يخسر الشخص النفوذ الذي كان يستمدّه من وظيفته ومنصبه، فبعد أن كان يها به مرؤوسيه لم يعد هناك من يعبأ به، وإذا أصابه أي عجز بسبب الأمراض فإنّه يخسر قدرته على الحياة المستقلة دون الاعتماد على الآخرين، هذا إضافة على كثير من المشاعر النفسية السلبية التي ترتبط بالتقاعد مثل الإحساس بأنّ الشخص أصبح زائداً عن الحاجة وأنّه يجب أن يبقى بانتظار الموت.

إنّ هذا الجانب السلبي المظلم في مسألة التقاعد عادةً ما يتمثل في المتقاعدين في أيٍّ مهمٍّ الأولى بمفهـة خـاصـة مع ما يـضـطـرـون إلـيـهـ من تـغـيـيرـ جـذـريـ في نـمـطـ حـيـاتـهـ، فـالـذـيـ اـعـتـادـ لـسـنـوـاتـ عـلـىـ الـاسـتـيقـاطـ الـمبـكـرـ وـالـعـودـةـ منـ الـعـلـمـ فيـ وقتـ مـحـدـدـ وـتـكـوـينـ عـلـاقـاتـ مـتـنـوـعـةـ فيـ الـعـلـمـ معـ الزـمـلـاءـ سـوـفـ يـجـدـ منـ الصـعـبـ التـعـودـ عـلـىـ وـضـعـهـ الـجـدـيدـ حـيـنـ لاـ يـذـهـبـ إـلـىـ الـعـلـمـ وـيـلـتـقـيـ مـعـ زـمـلـائـهـ، كـمـاـ أـنـ بـقـاءـهـ فـيـ الـمـنـزـلـ قدـ لاـ يـكـوـنـ مـدـعـاـ لـسـرـورـ أـسـرـتـهـ فـيـ نـيـنـتـابـهـ الإـلـهـاسـ بـأـنـهـ غـرـبـيـ فـيـ الـمـنـزـلـ، إـذـاـ كـانـ الـبـدـيـلـ هـوـ مـغـارـدـةـ الـمـنـزـلـ فـإـلـىـ أـيـ مـكـانـ يـذـهـبـ؟ـ رـبـماـ إـلـىـ أـحـدـ الـمـقاـهـيـ أوـ لـيـتـجـولـ فـيـ الـأـمـاـكـنـ الـعـامـةـ، إـنـ ذـلـكـ لـنـ يـمـكـنـهـ مـنـ التـغلـبـ عـلـىـ الـفـرـاغـ الـقـاتـلـ.

ورغم أنّ هناك بعض الجوانب الإيجابية في التقاعد إـلـاـ أـنـ لـاـ يـفـكـرـ بـهـاـ فـيـ الـفـالـلـ، فـالـفـتـرـةـ التيـ يـقـضـيـهاـ الـمـرـءـ فـيـ الـتـقـاعـدـ قدـ تـصـلـ إـلـىـ رـبـعـ أوـ ثـلـثـ مـجـمـوعـ سـنـوـاتـهـ فـيـ الـحـيـاتـهـ، لـذـاـ يـجـبـ أـنـ يـنـظـرـ إـلـيـهـاـ أـنـهـاـ إـحـدـىـ مـراـحلـ الـحـيـاتـ الـتـيـ يـمـكـنـ أـنـ نـسـتـمـتـعـ بـهـاـ، كـمـاـ أـنـ التـقـاعـدـ قدـ يـكـوـنـ فـرـصـةـ لـإـعادـةـ تنـظـيمـ الـكـثـيرـ مـنـ أـمـورـ الـحـيـاتـ بـمـاـ يـسـاعـدـنـاـ عـلـىـ عـلـمـ أـشـيـاءـ لـمـ نـتـمـكـنـ مـنـ إـنجـازـهـاـ بـسـبـبـ اـرـتـبـاطـاتـنـاـ السـابـقـةـ،ـ وـالـهـرـوبـ مـنـ سـجـنـ الـعـلـمـ هـوـ شـيـءـ إـيجـابـيـ بـرـغـمـ أـنـ الـمـتـقـاعـدـيـنـ لـاـ يـذـكـرـونـ إـطـلاـقاـًـ مشـكـلـاتـ الـعـلـمـ وـمـسـاوـيـهـ بـلـ يـفـكـرـونـ فـقـطـ بـأـشـيـاءـ الـجـيـدةـ الـمـمـتـعـةـ فـيـ أـيـامـ الـعـلـمـ وـيـتـحـسـرـونـ عـلـىـ تـلـكـ الـأـيـامـ وـيـتـمـنـونـ أـنـ تـعـودـ!

ورغم أنّ نسبة لا يأس بها من المتقاعدين يمكنهم التأقلم بسرعة على الوضع الجديد بعد التقاعد إـلـاـ أـنـ الـبعـضـ مـنـهـمـ لـاـ يـمـكـنـهـ ذـلـكـ وـتـبـدـأـ مـتـابـعـهـ فـيـكـوـنـ التـقـاعـدـ نـقـطـةـ تحـولـ هـاـمـةـ فـيـ حـيـاتـهـ،ـ وـقـدـ رـأـيـناـ نـمـاذـجـ لـذـلـكـ مـنـ الـمـتـقـاعـدـيـنـ الـذـيـنـ يـوـاـصـلـونـ الـذـهـابـ إـلـىـ عـلـمـهـ كـمـاـ تـعـودـوـاـ مـنـ قـبـلـ خـلـالـ الـأـيـامـ الـأـوـلـىـ للـتـقـاعـدـ وـكـأـنـهـمـ يـرـفـضـونـ أـنـ يـصـدـقـواـ أـنـهـمـ قدـ اـنـفـصـلـوـاـ عـنـ الـعـلـمـ،ـ لـذـلـكـ فـقـدـ اـتـجـهـ الـتـفـكـيرـ إـلـىـ إـعـادـةـ الـمـسـنـيـنـ قـبـلـ التـقـاعـدـ،ـ وـهـنـاكـ بـرـاـمـجـ أـعـدـتـ خـصـيـماـ لـتـقـدـيمـ الـمـعـلـومـاتـ وـالـإـرـشـادـاتـ لـلـمـسـنـيـنـ لـمـسـاعـدـتـهـمـ عـلـىـ التـأـقـلـمـ فـيـ مـرـحلةـ التـقـاعـدـ قـبـلـ أـنـ يـنـتـقـلـوـاـ إـلـيـهـاـ بـطـرـيـقـةـ مـفـاجـئـةـ وـتـتـضـمـنـ هـذـهـ الـبـرـاـمـجـ تـقـدـيمـ مـعـلـومـاتـ عنـ الـجـوـانـبـ الـإـيجـابـيـةـ فـيـ الـاحـتـفـاطـ بـصـحةـ جـيـدةـ فـيـ الـسـنـ الـمـتـقـدـمـ مـثـلـ الـعـنـاـيـةـ بـالـغـذـاءـ وـالـاهـتـامـ بـالـرـياـضـةـ،ـ وـمـعـلـومـاتـ مـنـ الـمـشـكـلـاتـ الـصـحـيـةـ الـمـتـوـقـعـةـ فـيـ الشـيـخـوـخـةـ وـكـيـفـيـةـ الـوـقـاـيـةـ مـنـهـاـ مـاـ أـمـكـنـ الـهـاـمـةـ الـتـيـ تـقـدـمـ لـلـمـسـنـيـنـ فـيـ الـمـجـتمـعـ،ـ وـهـذـهـ فـكـرـةـ جـيـدةـ قـاـبـلـةـ لـلـتـطـبـيقـ فـيـ مـجـتمـعاـنـاـ فـيـهـ مـفـيـدـةـ فـيـ تـقـدـيمـ الـإـرـشـادـ الـجـمـاعـيـ لـلـمـقـبـلـيـنـ عـلـىـ التـقـاعـدـ،ـ لـكـنـهاـ فـيـ الـحـقـيـقـةـ غـيـرـ كـافـيـةـ فـاـلـيـعـدـادـ لـلـشـيـخـوـخـةـ أـنـ يـبـدـأـ مـبـكـراـ وـالـمـرـءـ بـعـدـ صـغـيرـ الـسـنـ.

وـمـنـ الـمـشـكـلـاتـ الـتـيـ تـصـادـفـ الـمـسـنـيـنـ فـيـ فـتـرـةـ التـقـاعـدـ مـشـكـلـةـ اـخـتـيـارـ الـمـكـانـ الـذـيـ يـقـيمـ فـيـ عـقـدـ التـقـاعـدـ،ـ فـالـبـعـضـ يـفـضـلـ الـانتـقـالـ إـلـىـ مـكـانـ هـادـئـ بـعـدـ أـنـ كـانـ إـقـامـتـهـ تـرـتـبـطـ بـمـكـانـ عـلـمـهـ،ـ وـيـنـصـ بـصـفـةـ عـامـةـ أـنـ يـبـقـيـ إـلـيـهـ فـيـ الـمـسـكـنـ الـذـيـ اـعـتـادـ عـلـيـهـ وـفـيـ الـمـنـطـقـةـ الـتـيـ أـقـامـ بـهـاـ حـيـثـ هـوـ مـعـرـوفـ لـلـنـاسـ مـنـ حـولـهـ وـيـخـطـئـ الـبـعـضـ حـيـنـ يـحـالـلـونـ إـلـاقـةـ مـعـ أـبـنـائـهـمـ أـوـ أـقـارـبـهـمـ بـعـدـ التـقـاعـدـ دـوـنـ مـبـرـرـ قـويـ،ـ فـالـحـيـاتـ الـمـسـتـقـلـةـ أـفـضـلـ مـنـ كـلـ الـوـجـوهـ لـأـنـ الـإـنـسـانـ فـيـ الشـيـخـوـخـةـ قـدـ يـجـدـ فـيـهـ الـآخـرـونـ عـبـئـاـ ثـقـيلاـ،ـ وـمـنـ الـأـمـورـ الـهـاـمـةـ الـتـيـ نـنـصـ بـهـاـ الـمـسـنـيـنـ مـحاـوـلـةـ الـتـفـكـيرـ قـبـلـ التـقـاعـدـ فـيـ عـلـمـ يـشـبـهـ ذـلـكـ الـذـيـ يـقـومـونـ بـهـ لـمـمارـسـتـهـ بـعـدـ تـرـكـ عـلـمـهـ الرـسـمـيـ إـنـ لـمـ يـتـيـسـرـ فـيـمـكـنـ الـتـفـكـيرـ فـيـ مـجـالـ جـدـيدـ،ـ وـتـعـلـمـ أـيـ مـهـارـةـ بـصـبـرـ وـمـحـاـوـلـةـ الـاستـمـتـاعـ بـهـاـ.

وـمـنـ الـإـرـشـادـاتـ الـتـيـ نـقـدـمـهـاـ لـلـمـسـنـيـنـ أـيـضاـ لـيـضـعـوـهـاـ فـيـ اـعـتـبارـهـمـ قـبـلـ التـقـاعـدـ أـنـ يـعـلـمـوـاـ أـنـ طـرـوـهـمـ الـصـحـيـةـ لـنـ تـبـقـيـ عـلـىـ مـاـ هـيـ عـلـيـهـ،ـ إـنـاـ كـانـ يـسـكـنـ فـيـ مـكـانـ بـعـيدـ وـيـنـتـقـلـ مـنـهـ إـلـىـ حـيـثـ يـرـيدـ باـسـتـخـادـ الـمـوـاـصـلـاتـ الـعـامـةـ أـوـ يـقـوـدـ سـيـارـةـ خـاصـةـ فـإـنـهـ ذـلـكـ قـدـ يـصـبـحـ غـيـرـ مـمـكـنـ فـيـ وـقـتـ لـاحـقـ،ـ فـعـلـيـهـ الإـعـادـ لـذـلـكـ بـدـلاـ مـنـ مـوـاجـهـةـ مـثـلـ هـذـهـ الـمـشـكـلـةـ فـيـ شـيـخـوـخـتـهـ،ـ وـثـمـةـ كـلـمـةـ أـخـيـرـةـ نـهـمـسـ بـهـاـ فـيـ أـذـنـ الـجـمـيعـ،ـ إـنـ التـدـخـينـ وـالـكـحـولـ وـالـعـقـاقـيرـ الـمـخـتـلـفـةـ يـمـكـنـ أـنـ يـؤـدـيـ سـوـءـ اـسـتـخـادـهـاـ فـيـ الشـيـخـوـخـةـ إـلـىـ عـوـاقـبـ وـخـيـمـةـ،ـ إـنـاـ كـانـ هـنـاكـ بـعـضـ الـعـذـرـ لـلـمـراـهـقـيـنـ وـالـشـيـابـ فـيـ اـرـتـكـابـ بـعـضـ الـأـخـطـاءـ بـسـبـبـ قـلـةـ خـبـرـتـهـمـ،ـ فـإـنـهـ لـاـ عـذـرـ إـطـلاـقاـًـ لـأـيـ مـسـنـ فـيـ أـنـ يـسـهـمـ طـوـاعـيـةـ بـاستـعـمـالـ هـذـهـ الـأـشـيـاءـ فـيـ تـدـمـيرـ مـاـ تـبـقـيـ مـنـ صـحتـهـ.ـ فـالـلـوـقـتـ قـدـ لـاـ يـسـمـحـ لـهـ بـتـصـحـيـحـ مـاـ يـرـتـكـبـ مـنـ أـخـطـاءـ فـيـ أـيـامـهـ الـأـخـيـرـةـ.

وـاعـتـقـدـ أـنـ الـإـجـابـةـ عـلـىـ تـسـاؤـلـ بـدـاـيـةـ أـمـ نـهـاـيـةـ كـوـسـفـ لـلـتـقـاعـدـ لـاـ تـزـالـ مـفـتوـحـةـ لـلـنـقـاشـ حـيـثـ أـنـ الـاحـتـمـالـيـنـ مـمـكـنـ،ـ فـهـنـاكـ مـنـ يـقـولـ بـأـنـ الـحـيـاتـ تـبـدـأـ بـعـدـ الـسـتـيـنـ،ـ وـمـنـ يـقـولـ بـأـنـهـاـ تـبـدـأـ بـعـدـ الـأـرـبـعـيـنـ،ـ وـلـنـاـ أـنـ نـعـلـمـ أـنـ نـعـلـمـ أـنـ التـقـاعـدـ قـبـلـ عـامـ 1925ـ كـانـ 70ـ سـنـةـ،ـ وـلـاـ يـزـالـ حـتـىـ الـآنـ فـيـ النـرـوـيجـ 72ـ سـنـةـ،ـ وـفـيـ الدـاـنـمـارـكـ 67ـ سـنـةـ،ـ وـفـيـ أـمـرـيـكاـ 65ـ سـنـةـ،ـ وـفـيـ بـرـيـطاـنـياـ 65ـ سـنـةـ لـلـرـجـالـ وـ60ـ سـنـةـ لـلـسـيـدـاتـ،ـ وـفـيـ فـرـنـساـ وـمـصـرـ 60ـ سـنـةـ،ـ وـمـهـمـاـ كـانـ الـسـنـ الـذـيـ تـحدـدـهـ الـسـلـطـاتـ لـلـتـقـاعـدـ مـنـ الـعـلـمـ فـإـنـنـاـ نـرـىـ أـنـهـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـوـنـ الـبـدـاـيـةـ لـمـرـحلةـ جـيـدةـ فـيـ الـحـيـاتـ أـوـ عـلـىـ الـأـقـلـ لـيـسـتـ عـلـىـ درـجـةـ كـبـيرـةـ مـنـ الـسـوـءـ كـمـاـ يـتـصـورـ الـبـعـضـ.ـ ▶

